

بسم الله الرحمن الرحيم

برنامج حياة الشباب في صدر الإسلام

الحلقة الثالثة والعشرون بعد المائة

ابن تيمية (رحمه الله)

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على خير الأولين والآخرين ، نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ، أما بعد :-

أيها المستمعون الكرام، معشر الشباب ، السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، نقف اليوم مع حياة علم من أعلام الإسلام ، ممن برع في حداثة سنه ، ففاق أقرانه ، وأعجب أهل زمانه .

إنه شيخ الإسلام تقي الدين أبو العباس أحمد بن تيمية رحمه الله ، هو الشيخ الإمام الرباني إمام الأئمة ومفتي الأمة .

ولد أبو العباس بجران يوم الإثنين عاشر وقيل ثاني عشر شهر ربيع الأول سنة إحدى وستين وستمائة وسافر والداه به وبإخوته إلى الشام عند جور التتار .

وقدموا دمشق في أثناء سنة سبع وستين وستمائة فسمعوا بها... وشيوخه الذين سمع منهم أكثر من مائتي شيخ ، وسمع مسند الإمام أحمد بن حنبل مرات، وسمع الكتب الستة الكبار، والأجزاء، ومن مسموعاته معجم الطبراني الكبير، وعني بالحديث، وقرأ ونسخ وتعلم الخط والحساب في المكتب، وحفظ القرآن، وأقبل على الفقه، وقرأ العربية على ابن عبد القوي ثم فهمها، وأخذ يتأمل كتاب سيوييه حتى فهم في النحو وأقبل على التفسير إقبالا كلياً حتى حاز فيه قصب السبق، وأحكم أصول الفقه وغير ذلك، هذا كله وهو بعد ابن بضع عشرة سنة، فانبهر أهل دمشق من فرط ذكائه وسيلان ذهنه وقوة حافظته وسرعة إدراكه .

واتفق أن بعض مشايخ العلماء بحلب قدم إلى دمشق، وقال: سمعت في البلاد بصبي يقال له أحمد بن تيمية وأنه سريع الحفظ، وقد جئت قاصداً لعلني أراه، فقال له خياط: هذه طريق كتابه وهو إلى الآن ما جاء، فاقعد عندنا الساعة يجيء يعبر علينا ذاهباً إلى الكتاب،

فجلس الشيخ الحلبي قليلا فمر صبيان، فقال الخياط: للحلبي: ذاك الصبي الذي معه اللوح الكبير هو أحمد بن تيمية، فناداه الشيخ فجاء إليه، فتناول الشيخ اللوح فنظر فيه ثم قال يا ولدي امسح هذا حتى أملئ عليك شيئا تكتبه، ففعل، فأملئ عليه من متون الأحاديث أحد عشر أو ثلاثة عشر حديثاً، وقال له: اقرأ هذا فلم يزد على أن تأمله مرة بعد كتابته إياه ثم دفعه إليه وقال: اسمعه عليّ، فقرأه عليه عرضاً كأحسن ما أنت سامع، فقال له: يا ولدي امسح هذا ففعل، فأملئ عليه عدة أسانيد انتخبها، ثم قال: اقرأ هذا فنظر فيه كما فعل أول مرة، فقام الشيخ وهو يقول: إن عاش هذا الصبي ليكون له شأن عظيم فإن هذا لم ير مثله أو كما قال.

وقال الحافظ أبو عبد الله الذهبي نشأ يعني الشيخ تقي الدين رحمه الله في تصون تام، وعفاف، وتأله، وتعبه، واقتصاد في الملبس والمأكل، وكان يحضر المدارس والمحافل في صغره، وينظر ويفهم الكبار، ويأتي بما يتحير منه أعيان البلد في العلم، فأفتى وله تسع عشرة سنة بل أقل، وشرع في الجمع والتأليف من ذلك الوقت، وأكب على الاشتغال... واشتهر أمره وبعد صيته في العالم وأخذ في تفسير الكتاب العزيز في الجمع على كرسي من حفظه فكان يورد المجلس ولا يتعلم وكذا كان الدرس بتؤدة وصوت جهوري فصيح.

وقال بعض أصحابه وقد ذكر نبذة من سيرته: أما مبدأ أمره ونشأته فقد نشأ من حين نشأ في حجور العلماء راشفا كؤوس الفهم، راتعا في رياض التفقه، ودوحات الكتب الجامعة لكل فن من الفنون، لا يلوي إلى غير المطالعة والاشتغال والأخذ بمعالي الأمور خصوصا علم الكتاب العزيز والسنة النبوية ولوازمها، ولم يزل على ذلك خلفا صالحا، سلفيا متألها عن الدنيا، صينا تقيا، برا بأمه، ورعا عفيفا، عابدا ناسكا صواما قواما ذاكر الله تعالى في كل أمر وعلى كل حال، رجاعا إلى الله تعالى في سائر الأحوال والقضايا، وقافا عند حدود الله تعالى وأوامره ونواهيه، آمرا بالمعروف ناهيا عن المنكر بالمعروف، لا تكاد نفسه تشبع من العلم، فلا تروى من المطالعة، ولا تمل من الاشتغال ولا تكل من البحث، وقل أن يدخل في علم من العلوم من باب من أبوابه إلا ويفتح له من ذلك الباب أبواب ويستدرك مستدركات في ذلك العلم على حذاق أهله، مقصوده الكتاب والسنة، ولقد سمعته في مبادئ أمره يقول: إنه ليقف خاطري في المسألة والشيء أو الحالة التي تشكل على فأستغفر

الله تعالى ألف مرة أو أكثر أو أقل حتى ينشرح الصدر وينحل إشكال ما أشكل، قال: وأكون  
اذ ذاك في السوق أو المسجد أو الدرب أو المدرسة لا يمنعني ذلك من الذكر والاستغفار إلى  
أن أنال مطلوبي، قال هذا صاحب ولقد كنت في تلك المدة وأول النشأة إذا اجتمعت به  
في ختم أو مجلس مع أحد المشايخ المذكورين وتذاكروا وتكلم مع حداثة سنه أجد لكلامه  
صولة على القلوب، وتأثيراً في النفوس وهيبة مقبولة، ونفعاً يظهر أثره وتنفع له النفوس التي  
سمعتة أياماً كثيرة .

ثم لم يبرح الشيخ رحمه الله في ازدياد من العلوم وملازمة الاشتغال وبث العلم ونشره  
والاجتهاد في سبل الخير، حتى انتهت إليه الإمامة في العلم والعمل والزهد والورع والشجاعة  
والكرم والتواضع والحلم والإنابة والجلالة والمهابة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وسائر  
أنواع الجهاد، مع الصدق والعفة والصيانة وحسن القصد والإخلاص والابتغال إلى الله وكثرة  
الخوف منه وكثرة المراقبة له وشدة التمسك بالأثر والدعاء إلى الله وحسن الأخلاق ، ونفع  
الخلق والإحسان إليهم والصبر على من آذاه والصفح عنه والدعاء له وسائر أنواع الخير .

وكان رحمه الله سيفاً مسلولاً على المخالفين وشجى في حلوق أهل الأهواء المبتدعين وإماماً  
قائماً ببيان الحق ونصرة الدين، وكان بحراً لا تكدره الدلاء وحبراً يقتدي به الأخيار الألباء،  
طنت بذكره الأمصار وضنت بمثله الأعصار.

قال الحافظ أبو الحجاج: ما رأيت مثله ولا رأى هو مثل نفسه وما رأيت أحداً  
أعلم بكتاب الله وسنة رسوله ولا أتبع لهما منه ، وقال العلامة كمال الدين بن الزمكاني كان  
إذا سئل عن فن من العلم ظن الرائي والسامع أنه لا يعرف غير ذلك الفن، وحكم أن أحداً  
لا يعرفه مثله، وكان الفقهاء من سائر الطوائف إذا جلسوا معه استفادوا في مذهبهم منه ما  
لم يكونوا عرفوه قبل ذلك، ولا يعرف أنه ناظر أحداً فانقطع معه، ولا تكلم في علم من  
العلوم سواء أكان من علوم الشرع أم غيرها إلا فاق فيه أهله والمنسوبين إليه .

وكانت له اليد الطولى في حسن التصنيف، وجودة العبارة والترتيب والتقسيم والتبيين،  
ووقعت مسألة فرعية في قسمة جرى فيها اختلاف بين المفتين في العصر فكتب فيها مجلدة،  
كبيرة وكذلك وقعت مسألة في حد من الحدود فكتب فيها مجلدة، كبيرة ولم يخرج في كل  
واحدة عن المسألة ولا طول بتخليط الكلام والدخول في شيء والخروج من شيء وأتى في

كل واحدة بما لم يكن يجري في الأوهام والخواطر واجتمعت فيه شروط الاجتهاد على وجهها

.

أيها المستمعون الكرام ، معشر الشباب ، في الختام نسأل المولى جل وعلا أن يلهمنا  
رشدنا ، وأن يوفقنا لصلاح ديننا ودنيانا ، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين ، والصلاة  
والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ، وإلى أن ألقاكم أستودعكم الله ،  
والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.